مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(١كورنثوس ٨: ٨–١٣؛ ٩: ١–٣)

يا إخوةُ إنَّ الطعامَ لا يُقرِّبُنا إلى الله لأنَّا إن أكلنا لا نـزيـدُ وإن لـم نـأكُـلْ لا ننقُصُ* ولكن انظُروا أن لا يكونَ سلطانُكم هذا معثَرَةً للضعفاءِ* لأنَّه إن رآكَ أحدٌ يا مَن لـه العلمُ متَّكِئاً في بيتِ الأوثـانِ أفـلا يـتـقـوَّى ضميرُه وهو ضعيفٌ على أكلِ ذبائحِ الأوثانِ* فيهلِكَ بسبَبِ عِلمِكَ الأخُ الضعيفُ الذي ماتَ المسيحُ لأجلِه* وهـكـذا إذ تـخـطِـئـون إلـى الإخوةِ وتجرَحون ضمائرَهم وهي ضعيفةٌ إنَّما تُخطئون إلى المسيحِ* فلذلك إن كان الطعامُ يُشكِّكُ أخي فلا آكُلُ لحماً إلى الأبدِ لـئلاَّ أُشكِّكَ أخي* ألستُ أنا رسولاً. ألستُ أنـا حـرًّا. أمَـا رأيتُ يسـوعَ المسيحَ ربَّـنـا. ألسـتُـم أنتم عملي في الربّ* وإن لم أكُنْ رسـولاً إلـى آخـريـنَ فـإنّـي رسـولٌ إلـيـكـم. لأنَّ خـاتـمَ رسالتي هو أنتم في الربّ.

متى رأيناك؟

اليوم هو أحد مرفع اللحم وفيه نقيم التهيئة الأخيرة للصوم الكبير قبل الشروع فيه بشكل تام بعد أسبوع. هذا الأحد يُسمى في الكنيسة الأرثوذكسية «أحد الدينونة» لأننا نقرأ فيه مقطعاً من إنجيل متى يصف الدينونة الأخيرة. «يا ربُّ متى رأيناكَ جائعاً أو عطشان أو غريباً أو عرياناً أو مريضاً أو محبوساً؟» هو السؤال المشترك الذي يسأله الصدّيقون وغير الصدّيقين معاً. سؤال يسأله كلٌّ منا، تارةً بصدقٍ وطوراً لرفع العتب. مَن من المؤمنين لا يشتهي رؤية الرب ولكن هل سنجد سبيلاً إلى ذلك؟ الجواب بسيطٌ، نستطيع رؤية وجه الرب في كلِّ إنسانٍ، خصوصاً في وجه المحتاج للمحبة. هذا ما يعلمنا إياهُ الرب يسوع في إنجيل الدينونة.

لماذا تضعنا الكنيسة في أحد مرفع اللحم أمام الدينونة الأخيرة؟ لتذكرنا أن هذا اليوم الرهيب الذي فيه ستُفتحُ الكُتب وتُكشَفُ أفعالنا كلُّها ليس ببعيد، لأنَّ ألفَ سنةٍ في عيني الرب كيومِ أمسِ الذي عبر (مز ٩٠: ٤). إن الزمن لا قيمةَ لهُ بالنسبةِ إلى الأبدية، وهو يعبُر بسرعةٍ، فطوبى لمن يستطيع أن يفتديَ الوقت ليربح في الزمن القليل الزائل المعطى له حياة أبدية لا تزول. تذكرنا الكنيسة بأن اللهَ سيديننا كي لا نستكين فقط إلى تعطّفِ الله من دون أن نُقدِم على التوبة. لقد عرف الإبنُ الشاطر أن أباهُ عطوفٌ، لكنه قَبْلَ أن يتنعم من جديد برأفة أبيه كان عليه أن يحزمَ أمرَهُ ويعود إليه بالتوبة. يجب ألاّ يكون اتّكالنا على رحمة الله سبباً كي نمضي حياتنا بكسل وتهاونٍ، فرحمةُ الله تتفاعلُ مع إرادتِنا الحرة التي تُترجم أفعالَ توبةٍ في هذه الحياة، وليس في الأخرى.

بعد أن صلّينا البارحة لراحة أنفس الراقدين، نقف اليومَ معهم أمام منبر الديّان العادل، فعلامَ سيديننا الله؟ بكلمةٍ واحدة مختصرة، على عدم المحبة! ليس هذا مجرّد تعليم، إنه كلام الرب يسوع نفسه. أنتم يا مَن تحبون المسيح، تستطيعون أن تبادلوه المحبة عندما ترونه في وجه كلِّ مَن لبس المسيح في المعمودية، وبشكل أوسع في كلِّ إنسان لأننا جميعاً مخلوقون على صورته

العدد ٨/ ٢٠١٤

الأحد ٢٣ شباط

أحد مرفع اللحم

تذكار الشهيد في الكهنة بوليكربوس أسقف إزمير

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الثاني

الإنجيل

(متى ٢٥: ٣١-٤٦)

قال الربُّ متى جاءَ ابنُ البشرِ في مجدِه وجميعُ الملائكةِ القديسين معه فحينئذٍ يجلسُ على عرشِ مجدِه* وتُجمَعُ إليهِ كلُّ الأُمم فيميّزُ بعضَهم من بعضٍ كما يميّزُ الراعي الخرافَ من الجداءِ* ويُقيم الخرافَ عن يمينِه والجداءَ عن يسارِه* حينئذٍ يقولُ المَلِكُ للذينَ عن يمينِه تعالَوْا يا مباركي أبي رِثوا المُلكَ المُعَدَّ لكم منذ إنشاءِ العالَم* لأنّي جُعتُ فأطعمتموني وعطِشتُ فسقيتموني وكنتُ غريباً فآويتموني* وعُرياناً فكسَوتموني ومريضاً فعُدْتُموني ومحبوساً فأتيتم إليَّ* حينئذٍ يُجيبه الصدّيقون قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعاً فأطعَمناك أو عطشانَ فسقيناك* ومتى رأيناك غريباً فآويناك أو عُرياناً فكسوناك* ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك* فيُجيبُ الملكُ ويقولُ لهم: الحقَّ أقول لكم بما أنَّكم فعَلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاءِ الصغارِ فبي فعلتموهُ* حينئذٍ يقول أيضاً للذين عن يساره

ومثاله. إن كنّا لا نستطيع أن نرى صورة الله في الآخر فمن المؤكّد أننا لا نستطيع أن نقول إننا نعرف الله أو نريد رؤيته، بمعنى آخر إن كنا لا نستطيع أن نحب الآخر الذي نراه فلن نستطيع أن نحب الله الذي لا نراه حسبما يعلّم الرسول يوحنا الإنجيلي (١ يو ٤: ٢٠). لكن لماذا لا يحب الإنسان أخاه؟ ولماذا تبقى محبّتنا مجرّد مشاعر من دون أن تتحوّل إلى أفعال؟ لأننا كثيراً ما نخشى أن ننقص إن أعطينا، نخاف ألا نُحترم إن احترمنا غيرَنا. نحن لا نريد أن تزيد مشاكلُنا إن شاركنا الآخرين مشاكلهم، ولا نستمع للآخرين جيداً لأننا نفضل أن نتكلّم، ولا وقتَ لدينا لنعطيه للآخر لأننا نريد أن نستفيد من كل وقتنا لكسب منافع خاصة. في معظم الأوقات لا نعرف كيف نخرج من سجن أنانيتنا لننطلق نحو حرية محبة الآخر. إن المحبة الحقيقية هي بذلٌ للذات بلا حدود وكثيراً ما تقف أنانيتنا عائقاً أمامها.

يقول السابق المجيد يوحنا المعمدان في حديثه عن الرب يسوع: «ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص» (يو ٣: ٣٠). ليس سهلاً أن نخفي صورتنا الخاصة لنجعل صورة الله تظهر فينا، أن ننقص نحن ليزيد هو، فكم بالحري يصعب علينا في علاقتنا مع الإنسان الآخر أن ننقص ليزيد الآخر. لقد وجد القديسون سبيلاً إلى ذلك لأنهم أحبوا كثيراً، وتعلّموا من الله الذي أعطانا مثالاً حيًّا في ذاته أن هذه المحبة ليست بمستحيلة.

توجد في فلسطين بحيرتان مشهورتان: بحيرة طبرية والبحر الميت. إن بحيرة طبرية، وعلى الرغم من صغرها مليئة بالحياة إذ يعيش فيها سمكٌ كثير. أما البحر الميت الذي يكبرها بحوالى الأربعة أضعاف فهو ميت لا حياة فيه إذ بسبب كثرة الملوحة في مياهه لا يوجد حياة فيه. تتّصل هاتان البحيرتان عبر نهر الأردن الذي هو نهر حيٌّ، يبدأ من طبرية وصولاً إلى البحر الميت. وهنا تحدث الظاهرة الغريبة، منذ قرون عديدة وحتى يومنا هذا، تعطي بحيرة طبرية الصغيرة الماءَ عبر نهر الأردن إلى البحر الميت، لكنها على الرغم من ذلك لا تنقص ولا تفرغ إنما تبقى مليئة بالحياة. أما البحر الميت الذي يقتبل المياه من بحيرة طبرية فيبقى ميتاً! هكذا الإنسان الذي يكتفي بالأخذ من دون عطاء، ويهتمّ بنفسه فقط يبقى ميتاً، أما مَن يعطي بسخاء فهو نبع لا ينضب من الحياة.

إن المحبة المسيحية هي حياةٌ، لأن الله الذي هو «المحبة» هو أيضاً «الحياة». فلا نخشينَّ عيش هذه المحبة التي مع كونها عطاءً مستمرًّا، وإفراغاً للذات، وانفتاحاً على الآخر، وتضحيةً بلا حدود، تجعلنا نحيا ملء الحياة، لأنها تدخلنا في أبدية شركة حياة المحبة الإلهية منذ الآن، وبذلك نستطيع أن نقول إننا رأينا الرب.

العيد

عندما نقول كلمة «عيد» بين الناس نقصد إجمالاً الفرح والإحتفالات. وعندما تتحدّث الكنيسة الأرثوذكسية عن «العيد»، إنّما تقصد عيد الأعياد، الفصح. هو العيد الذي لم تعرف المسكونة مثيلاً له في الماضي أي قبل المسيحيّة. هو عيد الغلبة لكنها ليست الغلبة بالقوّة إنّما غلبةٌ بالصلاة والصوم. على غرار معلّمها، الرب يسوع، الذي صام

إذهبوا عنّي يا ملاعينُ إلى النارِ الأبديَّةِ المُعَدَّةِ لإبليسَ وملائِكَتِه* لأنّي جُعتُ فلم تُطعِموني وعطِشتُ فلم تَسقوني* وكنتُ غريباً فلم تُؤووني وعُريانـاً فلم تَكسوني ومريضاً ومحبوساً فلم تَزوروني* حينئذٍ يُجيبونهُ هم أيضاً قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعاً أو عطشانَ أو غريباً أو عُريانـاً أو مريضاً أو محبوساً ولم نَخْدِمْكَ* حينئذٍ يُجيبُهم قائلاً الحقَّ أقولُ لكم بما أنَّكم لم تفعلوا ذلك بأحدِ هؤلاءِ الصغار فبي لم تفعلوهُ* فيذهبُ هؤلاءِ إلى العذابِ الأبدي والصِدّيقونَ إلى الحياةِ الأبديَّة.

تأمل

عندما سيأتي المسيح ثانيةً بكامل مجده ليدين العالم، سيقول للقساة والظالمين المجتمعين إلى يساره: «إذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبديّة المعدّة لإبليس وملائكته. لأنّي جعت فلم تطعموني، عطشت فلم تسقوني، كنتُ غريباً فلم تؤووني، عرياناً فلم تكسوني، مريضاً ومحبوساً فلم تزوروني» (مت ٢٥: ٤١–٤٢). إذاً إن حُكِمَ مع الشيطان في النار الأبدية على كل الذين لم يعطوا طعاماً وماءً للمسيح أربعين يوماً في البرّيّة قبل البدء بالكرازة، تبدأ الكنيسة بالتحضير لليوم البهي بصلاةٍ وصوم حبّذا لو أمكن المؤمن المحافظة طوال السنة على نمط حياةٍ مليء بهما. إنّها فترة التوبة في الكنيسة حيث نسمع، منذ أسبوعين وحتى يوم الفصح، قراءاتٍ تحثّنا على التوبة وتذكّرنا بالخطايا بغية اجتنابها. منذ اليوم نتهيّأ للصوم الأربعيني المقدّس عبر الإنقطاع عن أكل اللحم وبدء حالةٍ من السلام مع الطبيعة على الأقل، على أمل أن يتجلّى هذا السلام في علاقاتٍ تجمعنا فيها محبّةٌ تجاه الآخرين أصدقاء كانوا أم مبغِضين.

يصادف هذا العام أحد مرفع اللحم في اليوم الذي يسبق الإحتفال بتذكار ظهور هامة السابق، يوحنا المعمدان، الذي تحتفل به الكنيسة الأرثوذكسية في الرابع والعشرين من شهر شباط من كلّ عام. المعمدان، هذه الشخصيّة التي ربطت بين العهدين القديم والجديد، هو النبيّ من العهد القديم الذي تمّم ما قيل له بتواضعٍ ومحبّة عندما وضع يده على السيّد معمِّداً فيما شعر بانسحاقٍ وعدم استحقاقٍ أمام الإله المتجسد. قبل الوصول إلى هذا اليوم صام المعمدان وعاش حياة تقشّف داعياً إلى التوبة وإلى التيقّن بأنّ ملكوت السموات قد اقترب. ها نحن اليوم نتذكر ما نادى به المعمدان بأنّ وقت الجدّ قد اقترب والحاجة ملحّةٌ للتوبة. لدينا اليوم مناسبتان تدعواننا إلى التنبّه والتوبة. في حين تدعونا الكنيسة إلى ممارسة الصيام والنسك، نعيّد للشخص الذي سبقنا إلى هذا العمل وصار لنا مثالاً.

تنطلق الكنيسة من خبرة القدّيسين الذين سبقونا في مضمار التوبة والغسل من الخطايا. والكتب تنضح بسيَر قدّيسين عاشوا حياة توبةٍ وتقشّف ليبلغوا باستحقاقٍ إلى يوم الفصح.

إنّ التمثّل بقدّيسين من العهد القديم لمهمٌّ لأنه يوضح أنّ الكنيسة لم تضع أحكاماً وفرائض عشوائيّة. ليست الأصوام مجرّد أمر قانونيٍّ قد يُعتبر مملاً وصعباً وغير مهمّ. هذا الإستنتاج يأتي من تراخي إنساننا المعاصر وسعيه إلى الحصول بسرعةٍ على مبتغاه متأثراً بالتطوّر العلمي الذي نعيشه. لقد أتت القوانين لتنظّم الصوم وتخفّف من وطأته على المؤمنين لشعور آباء الكنيسة بالحاجة التي تفرضها الحياة الإجتماعية. لذلك تحافظ الأديار على النمط الأول من الصيام المأخوذ عن الرهبان القدماء، وهو أقسى من الصيام الذي يصومه المؤمنون في العالم. لذا نحن محضونون من الكنيسة التي تحثّنا على الصيام والتوبة، ولسنا بمغبونين أو مظلومين بقوانين جائرة لا تراعي العوامل الإجتماعية الحديثة.

في هذا الأحد تقيم الكنيسة أيضاً تذكار أحد الدينونة. إنّه الحَدَث المستقبليّ الذي نتذكّره اليوم لكي لا ننسى أنّ هناك دينونة تحدّث عنها الرب يسوع. والقراءة الإنجيليّة في هذا الأحد تخبر عن الرب الجالس على العرش يدين العالم. حريٌّ بنا أن ننتبه إلى المقياس الذي يدين به الله في هذا المقطع الإنجيلي والذي هو محبّة الآخر والعناية به. فعل المحبّة في هذا النص هو إعطاء الآخر ما هو لي أو مشاركة ما أملكه معه. إنطلاقاً من المحبّة يجب ألاّ تكون الدينونة مرعبة

عندما كان جائعاً وعطشاناً، فماذا سيحدث لأولئك الذين لا يعطونه في جوعه حتى مِمَّا سرقوه؟ ماذا سيحدث لأولئك الذين لا يكسونه عندما يكون عرياناً، لا بل يجرّدونه عندما كان مكسواً أيضاً؟ ماذا سيحدث لأولئك الذين لا يؤووه عندما يكون غريباً لا بل يطردونه أيضاً؟ ماذا سيحدث لأولئك الذين لا يخفّفون عنه عندما يكون مريضاً، لا بل يسيئون إليه أيضاً؟ وماذا سيحدث في النهاية، لكلّ أولئك الذين لا يزورونه عندما يكون محبوساً، لا بل عندما يكون حرًّا يعملون ما بوسعهم لكي يضعونه في السجن أيضاً؟...

يمكنك أن تخدع قضاة الأرض أو أن ترشوهم، أمّا قاضي السماء فلا، أبداً. يمكنك أن تخالف النواميس الإنسانيّة بحيل، تبدو في الظاهر قانونيّةً ومُنقذة، أما الناموس الإلهيّ فلا، لأنّ السيّد يرى أعمالك. عاجلاً أم آجلاً، ستُقدّم كشفاً إلى الذي يقف جانب المظلومين ويحمي كلّ الذين لا يستطيعون تحصيل حقّهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

لمن يسلك بحسب التعاليم الواردة في الكتاب المقدّس، وعمل المحبّة هو من أسهل الأمور وأصعبها على حدٍّ سواء. إنّه لصعبٌ غالباً أن يتخلّى الإنسان عن أشياء يملكها لكي يعطيها للآخر. أمّا الصيام فيشكّل وسيلةً تسهّل علينا عمل المحبّة. من خلال البساطة في المأكل واللباس والإحتفالات، وعبر الإنشغال بالصلوات وسماع الكلام الذي يحثّ على التوبة، تسهل المهمّة. إذا ما كانت آذاننا تسمع الصلوات وحياتنا خاضعة للصوم الذي نحن مدعوّون إليه، تزداد المحبّة. الصيام يمسي المقود الذي يسيّر النفس نحو محبّة الآخر وعدم الإمعان في محبّة الذات. طبعاً لسنا مدعوّين إلى الزهد والنسك الكاملين وإلاّ لأصبح الجميع رهباناً ولتغيّر واقع الحياة والنسل. الصوم طريقٌ يسلكه الرهبان والعلمانيّون بوعي، كلٌّ على قدر طاقته، من دون تشدّدٍ مفرط ولا تراخٍ يؤدّي إلى ضررٍ روحيّ.

الصيام دعوةٌ إلى التصالح مع الذات والآخرين، دعوةٌ إلى المحبة والتوبة والمشاركة. إنّها الفترة التي يذرف فيها الملوك والفقراء دموعاً على ما اقترفوه من ذنوبٍ وخطايا على أمل أن تثمر هذه الدموع في الأيام والسنين المقبلة حياةً روحيّةً يتجلّى فيها المؤمن في محبّة الآخر ومحبّة الله.

من أقوال الآباء

إن ذكر اسم الله يطرد الشياطين. وأنت إذا شئت أن تنجو من العذاب الخالد فليرنّمْ لسانك وليُصلِّ عقلك حينما تتحرك يدك لتعمل. لا تشمئز من أحد البتة. ويلٌ لمن لا شريعة له. فإذا استضاء العالم كله يبقى هو مظلماً. الويل للمفتري فإن لسانه سينعقد، وعذراً لن يجد أمام القاضي. الويل للمستكبر فإنّ ثروته تهرب وجحيم النار يتقبله. الويل للمتواني فإنّه سيطلب الزمان الذي أضاعه سدى فلا يجده. الويل لمحب الزنى فإنّه قد دنّس الحلّة العرسية وسيخرج بخزي من العرس الملوكي. الويل للثلاّب والسكّير فإنهما سيرتّبان مع القتلة ويعذّبان مع الزناة. الويل لمن يتنعم زماناً قليلاً فإنه سيُطلب للذبح كالخروف. الويل للمرائي فإن الراعي سيُنكره والذئب سيخطفه.

الطوبى لمن يسلك الطريق الضيِّق فإنه سيدخل السماء لابساً الأكاليل. الطوبى لمن سيرته نقية وعقله متواضع فإنه قد تشبّه بالمسيح وسيجلس معه. مغبوط مَن قد صنع إلى الفقراء إحسانات كثيرة فإنه سيجد كثيرين ينتصرون له إذا ما حوكم. الطوبى لمن يكلّف نفسه العناء في كل شيء لأن الغاصبين يختطفون ملكوت السموات (متى ١١: ١٢). لنعزِّ ذواتنا ونعظها وليُنزه الواحد منا نفس الآخر. ليكن حديثنا عن الدينونة وعن اعتذارنا أمام منبر الرب.

القديس أفرام السرياني

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb